الحسين عليه السلام الوتر الفريد على مر القرون من مولده حتى شهادته

الدكتور
السيد حسين الشريفي
الولايات المتحدة الأمريكية ـ جامعة بيلتون

فيـــا ايُّهـــا الـــوتر في الخالـــدِين فـــــــذاً إلى الآن لم يشـــــــفعِ

الشاعر محمد مهدي الجواهري

إذا كان للباطل في دنيانا الزائلة جولة قد ينتصر فيها على الحق، فأن للحق صولات تدع الباطل هشيماً تذره الرياح وإذا كان التفكير الأموي حقق نجاحاً وقتياً زائفاً في هذه المعركة، فأن الدم الحسيني قد صار منذ ذلك اليوم فتيل الثورات ومحرك الثائرين في كل زمان ومكان على العرش السفياني والنظام المرواني، حتى يمكن الله منه ويتم تحطيمه والقضاء عليه بعد حين من الدهر.

ويبقى الحسين عليه السلام على مر القرون ذلك المثال الفذ والوتر الفريد الوحيد، الذي أراده الله تعالى له أن يظل مناراً يستضيء به كل أحرار العالم الي يومنا هذا، بما حمل من هدى واشراق وحياة، وبما الهم من عزم وتضحية وفداء، أننا لابد ان نأخذ العبر والعظات الى جيلنا الحاضر من المسلمين وان يقتبسوا منه مزيداً من العناية ببناء الروحي والنفس والخلق والضمير.

إن البحوث المعنية بهذه السيرة من جوانب رئيسية في تاريخ الحسين عليه السلام وسيرته وتراثه الفكري، لم تبحث على النحو الذي يجب أن يكون عليه البحث في العرض والسرد والتحليل، ولم نسلط عليه الاضواء، بالمقدار الذي تستحقه من جلاء وكشف

إن هذه الصفات الموجزة غير قادرة على الالمام بكل جوانب تلك السيرة المعطرة، وكل حلقاتها الذهبية الوضاءة، على إبراز تلك الجوانب واكثرها ارتباطاً بحياتنا المعاصرة بما تمنح لنا من عزم وتعطي درساً الى الاجيال التي تذلل من مشاق ذلك النضال وعقباته.

أنه الحسين الذي احتضنته سمات الرسالة المحمدية من أ طرافها وتلالئت في سمائه هالات الإمامة وسطع جبينه باشراق النور النبوي الدافق الخلاب.... بمولد الكائن السماوي

على صورة إنسان هو الملاك الروحي الماثل امام العين بمادة الجسد في الثالث من شعبان المشرق الوضاء الدافق بالبهاء والنور في سنة أربع من الهجرة.. عمت الفرحة وغمرت الارجاء بأصداء البشر والحبور في دار حبيبه الرسول صلى الله عليه وآله الزهراء البتول عليها السلام، أخذه النبي الرسول واحتضنته ساعديه المباركتين فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وسماه حسيناً وكناه أبا عبدالله وأمر بحلق رأسه وتصدق بزنته فضه وعق عنه بكبش، ختنه في السابع من ولادته... كما نشا أخوه الحسن عليه السلام من قبل، هذه الصفات الفريدة المتميزة لم يعرفها العرب من قبل ولم يشاهد مثلها في حياة الصبيان في الاسباط والاحفاد، كان أسمارها التكبير والتهليل وأحاديثها آيات وحي السماء وزوارها ملائكة الله ونغماتها تراتيل القرآن ونبض ساعتها العمل والجهاد في سبيل الله، وقد أثرت عن النبي صلى الله عليه وآله في سبطه الثاني في تلك السنوات المعدودات من أحاديث الحب والتعظيم وهو الذي لا ينطق عن الهوى إلا هو وحي يوحى بعيدا عن نزعات العاطفة عن قصد السبيل، أثارة أنتباه الامة ولفت نظرها الى ما هذا السبط الأثير من شأن خطير ودور مدخر في تاريخ العقيدة الإلهية والمسيرة الإسلامية في الزمن القادم وفي أيامها الحبلى، تسلم يزيد الخلافة وحرر كتاب إلى والي المدينة.

عندها قرأ الوليد الكتاب وتعاظم ذلك، وقال، لا والله لا يراني قاتل الحسين ابن علي عليه السلام وانا لا اقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ولو اعطاني يزيد الدنيا بحذافيرها، عندها علم الحسين عليه السلام وخرج قاصداً مكة ليلة الاحد ليومين بقيا من رجب سنة ٦١هـ ومعه بنوه واخوته وبنو اخيه وجل اهل بيته وكان الحسين عليه السلام اودع وصيته اخاه محمد ابن الحنفية، ان الحسين ابن علي يشهد ان لا اله إلا الله وحده لا شريك له وان محمد عبده ورسوله جاء بالحق من عنده وان الجنة حق والنار حق وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور.. وأني لم أخرج اشراً ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالماً وانما خرجت لطلب النجاح والاصلاح في امة جدي محمد صلى الله عليه وآله اريد ان أمر بالمعروف وانهي عن المنكر واسير بسيرة ابي علي بن ابي طالب عليه السلام.

وبخروج الحسين عليه السلام بدأ الموقف يتأزم ويشتد والوضع العام يسير نحو الانفجار الرهيب خطوة خطوة، وسار الحسين عليه السلام الى العراق نحو الكوفة حاملاً راية مقارعة الظلم وبعد ان علم والي الكوفة عبيد الله بن زياد امر الحر ابن يزيد الرياحي ان يجعجع بالحسين عليه السلام

واصحابه ثم سار الى كربلاء فنزلوا وكان ذلك بمثابة الاعلان بالحرب... وبدأت الجيوش الاموية تتوارد على كربلاء لحرب الحسين عليه السلام حينها أعلن الحر انضمامه الى الحسين عليه السلام بعد ان رأى الحق لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قامت الحرب بين الطرفين على قدم وساق وكانت ضروساً عنيفة لا ترحم، ثم انتصف النهار في العاشر من محرم سنة ٦١هـ صلى عليه السلام صلاة الخوف ثم اقتتلوا ثم اشتد قتالهم واستشهد اصحاب الحسين عليه السلام واهل بيته واحد تلو الاخر حتى بقي وحده بعد شهادة انصاره حتى قالها الرسول صلى الله عليه وآله ((من أحبني وأحب هذين وأبوهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة)) هنا تبرز في الحديث كلمات وقراءة غيبية للأحداث من مغيبات، بل من أكثر إثاره للدهشة ودلالات على صحة الرسالة السماوية فلقد حمل هذا النص ذو الكلمات الثلاث ((انا من حسين)) حقيقة تاريخية كبرى من الحقائق التاريخية لم يعرفها الناس إلا مثولها للعيان بعدما أصبح فيه الدين غريبا كما بدأ وأن العقيدة ستهتز في نفوس كثير من الخلق حتى تصبح لديهم أثراً بعد عين، وقلقلة لسان لا تمت الى القلب بصلة.

حينذاك سيثور الحسين عليه السلام ثورته ويبطش بطشته ويعطي للمصباح الذي أوشك ان ينطفئ زيتا جديداً دمه ودماء أهل بيته الأطهار واصحابه الابرار فيعود متقداً ليستضيء به نور الانسانية في كل زمان ومكان وتعود الرسالة المحمدية ما بقي الدهر وتتحقق ما قاله النبي صلى الله عليه وآله أنا من حسين بكل جلاء ووضوح!!.... ثم تسلم يزيد ابن معاوية بن ابي سفيان مقاليد الخلافة من خلفه معاوية، ثم بدا عمله الاداري بتحرير كتب الى الأمصار لمبايعته واتباعه ثم امر الوليد ابن عتبة بن ابي سفيان والي المدينة يوم ذاك ان يأخذ البيعة من الحسين ابن علي عليه السلام فأن امتنع فأضرب عنقه وابعث برأسه الينا.

بعد أن بايعه عبد الله ابن عمرو عبد الله ابن عباس وعبد الله ابن الزبير وعبد الله ابن جعفر وبعد حضور الحسين في مجلس الوليد أعلن رفضه ذلك بقوله عليه السلام ايها الأمير: إنا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر قاتل النفس المحرمة معلن الفسق ومثلي لا يبايع مثله ونحن احق بالخلافة والبيعة، هذه الرسالة نقلت الى يزيد عندها غضب غضباً شديداً وامر الوليد ليكن مع جوابك راس الحسين ابن علي عليه السلام فأن فعلت ذلك فقد جعلت لك اعنت الخيل ولك

عندي الجائزة والحظ، انتهت المعركة عن ابي الشهداء طريحاً على الارض مضمخاً بدمائه الزكية واحتز رأسه سنان ابن انس فسلاماً عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

الحسين في امامته وثورته ومولده حتى شهادته:

أنه الحسين الذي أحتضنه سمات الرسالة المحمدية من أطرافها وتلالأت في سماته هالات الإمامة وسطع جبينه بإشراقه النور النبوي الدافق الخلاب.

أنه الكائن السماوي على صورة الانسان والملاك الروحي الماثل أمام العين.. أنه المزيج بين الروح والمادة والسماء والارض والملائكة والبشر..

في ذلك اليوم المشرق الوضاء الدافق بالبهاء والنور من شهر شعبان في الثالث منه سنة أربعة من الهجرة أستقبل بيت النبوة المطهر، ثاني السبطين والريحانتين هو الحسين..! سمع النبي الأكرم النباء السار وحضر في بيت أبنته الزهراء عليها السلام أحتضنه وأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى وسماه حسيناً، وكناه أبا عبد الله، حتى عق عنه بكبش وتصدق به على الفقراء حتى ختنه في اليوم السابع من ولادته.

نشأ هذا المولود المبارك في ظلال جده النبي رسول الله صلى الله عليه وآله كما نشأ أخوه الحسن عليه السلام وكانت نشأه فريدة متميزة: لم يعرفها تاريخ الجزيرة العربية ويثرب عن الاطفال والصبيان في الارض ولم يشاهد مثلها في حياة الاسباط والاحفاد بين الناس، على الرغم من ان الحسين عليه السلام لم يكتب له العيش في كنف جده الرسول صلى الله عليه وآله إلا سنيات يسيره من العمر ولكنما تفضل القرون وتربو في شرفها وقدسها على العصور[1].

انها السنوات التي كانت أسمارها التكبير والتهليل وأحاديثها آيات من وحي السماء وزوارها ملائكة الله ونغماتها تراتيل القرآن، وساعاتها العمل والجهاد في سبيل الله.

ولد الحسين عليه السلام وهو يحمل شأن خطير من هذا السبط الأثير ودور مدخر في تاريخ العقيدة الإلهية والمسيرة الإسلامية في أيامها الحبال المقبلة[2]..

من خلال النصوص من الاحاديث الشريفة المتواترة المتظافرة لتكون الشاهد العدل على صواب ما قال النبي صلى الله عليه وآله بحق الحسين عليه السلام منها تضمن النص الصريح على الحب الكبير والمورد الفائق، على حث المسلمين لحب الحسين ومودته: فأن فيها بضعة نصوص لا يمكن

أن يكون المراد بها هو التعبير عن محض الود والتوله ـ مهما بلغ عمق ذلك وشأوه وليس من الموضوعية في شيء ان يمر الباحث عليها مسرعاً فلا يقف عندها وقفة المتأمل الواعي والمتدبر المستوعب خصوصاً وأن قائلها سيد البلغاء وأفصح الفصحاء وليس من شأن من يكون بهذه المثابة من الفصاحة والبلاغة ان يرسل الكلام على عواهنة، أو يستعمل الألفاظ في غير قصد تام لمعاينها المحددة ومد اليها الأصيلة:

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله مريداً كل الإرادة ما يعينيه قوله: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم، بل كان يشير بذلك قاصداً متعمداً الى جوانب من الحرب والسلم ما تزال في ضمير الغيب وكأنه أراد بقوله هذا تنبيه الأمة الإسلامية وارشادها الى ما يجب عليها فعله عندما يحارب هؤلاء وعندما يسالمون، بل أن فيها الأمر الضمني للمسلمين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه: بأن يقفوا دائماً مع أهل البيت في خندق واحد في سلمهم إذا سالموا، وفي حربهم إذ حاربوا.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وآله مريداً كل الإرادة أيضاً ما يعنيه قوله في الحسن والحسين عليهما السلام ومن أبغظهما أو بغى عليهما أبغضته أو من أبغضته أبغضه الله، وأنها لأثاره منه بقصد وعمد الى ذلك الغد المقبل الذي سوف يعج بالفتن الدامية ويموج بالأحداث المرعية وتنبيه آخر للأمة ألا تقف موقف المبغض لهذين الإمامين وفي صف الباغين عليها وبذلك يكون هذا الحديث إخباراً نبوياً عن غيب يتعرض منه الإمامان الى البغي عليهما من بعض من يزعم انه من المسلمين وتأكيداً لحديث الحرب والسالم السالف الذكر ولكن بأسلوب آخر من الصياغة والتعبير.

وأخيراً وليس آخراً لقد كان صلى الله عليه وآله مريداً كل الارادة أيضاً ما يعنيه قوله ((حسين مني وأنا من حسين)) في جميع دلالات وأبعاد مضمونة وواضحة كل الوضوح أن يكون الإمام السبط عليه السلام من الجد نسباً وحسباً ووجوداً وخلقه، ووراثة ولحمه وهو معنى الفقرة الاولى حسين مني فكيف تقبل العقول او يصح في منطقة الاشياء أن ينعكس الامر وتنقلب الصورة فيكون الجد من الحفيد كما هو منطوق الفقرة الثانية وأنا من حسين..؟

ولما كان التبعيض غير مرادٍ قطعاً في هذا المورد بل لا معنى له مطلقاً لبداهة أن الجد لا يكون بعض الحفيد فلابد ان يكون المراد لا محاله هو المعنى الآخر أي ابتداء الغاية.

وهنا تبرز في الحديث قراءة غيبة للأحداث هي أعظم ما أخبر به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من مغيبات بل من اكثرها إثارة للدهشة ودلالة على صحة المسالة فلقد حمل هذا النص ذو الكلمات الثلاثة ((أنا من حسين)) حقيقة تاريخية كبرى أو مجموعة من الحقائق التاريخية لم يعرفها الناس الا بعد مثولها للعيان، وقد أستغرق ذلك حيناً طويلاً من الدهر تجاوز القرن من الزمان.

وكان معنى الكلمات الثلاث باختصار: أن الايام المقبلة ستنجلى عن عهد يصبح فيه الدين غريباً كما بدأ، وأن ذلك العهد سيوجه سهامه بالدرجة الاولى نحو نبي الإسلام بالذات[٣]، وأن العقيدة ستهتز في نفوس كثير من الناس حتى تصبح لديهم أثراً بعد عين، أو لقله لسان لا تمت الى القلب بصله.

وحينذاك سيثور الحسين عليه السلام ثورته ويعطي للمصباح الذي أوشك أن ينطفئ زيتاً جديداً، هو دمه ودماء الغر من أهله بيته وأصحابه فيعود متلألئاً متقداً كما كان تستضيء بنوره الإنسانية في كل زمان ومكان، وبذلك يعود النبي محمد صلى الله عليه وآله الى الحياة من جديد ونعني بالرسالة المحمدية الباقية ما بقيت الحياة وتتحقق إذ ذاك مقولة ((أنا من حسين)) لكل جلاء ووضوح، ويصبح من هنا هو ابتداء الغاية كما قالها النبي صلى الله عليه وآله ابتداء في المسيرة المحمدية الى حيث وقفت أو تقهقرت بعد دك عروق التمرد والتخريب الى المسيرة الحسينية نحو غاية يتجسد فيها الهدف وهو إعلاء كلمة الله.

ثم توالت كلمات الاشارة والعظيم والتنبيه والتنويه بحق الإمام الحسين عليه السلام من جده النبي صلى الله عليه وآله حتى أوشك يوم الفراق الأليم وأذنت المنية لجده من دنيا الإسلام والمسلمين.

وسرعان ما فارق الرسول صلى الله عليه وآله وأنتقل الى بارئه حتى أنقلب المسلمون وعصفت بالمسلمين أعاصير وأهوال وفتن وصحن وتمزق وانقسام وكان ما كان ولسنا بصدد البحث فيما وقع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بل لسنا في صدد الحديث عنه لما يثيره في النفوس من الآم مريرة نحن في اشتد الغنى عن ذكرها أو أشد الحاجة الى هذا اليوم الذي تكالب فيه اعداء الإسلام بكل فصائلهم وبكل ما أتوا في ضراورة بخبث وأسماء ما أنزال الله بها من سلطان من دواعش هذا الزمان ليزيدوا في تفتيتها وتشتيتها تمهيداً للإجهاز عليها لسلحها من في الإسلام أو وسلخ الإسلام منها أن صح التعبير.

فقد عاش الحسين عليه السلام تلك الأحداث والمآسي بأعنف ما يعيشها الفتى الذكي الواعي المرهف الحس، المتيقظ الذهن المدرك لكل ما يحيط به ويدور حوله.

وبدءاً بحجب الخلافة عن صاحبها الشرعي المنصوص عليه حينما حصل في سقيفة بني ساعدة وأنكروا النص لسلبوها من أبا الحسن علي عليه السلام ومروراً بفرض البيع على الناس بالتهديد والوعيد والارهاب[٤][٥] الى حرمان والدته فاطمة الزهراء عليها السلام من حقها في فدك[٦]، وانتهاء بذلك اليوم الكئيب الذي فقد فيه الحسين أمه الزهراء عليها السلام بعد مدة وجيزة من فجيعته بجده الاعظم رسول الله صلى الله عليه وآله.

لقد عاش الحسين هذه المآسي كلها وتجرع مرارتها والآمها أو تمر الايام وما هي الا سنوات حتى تربع الحسين عليه السلام أريكة الشباب فخلب العقول والألباب وأصبح أثراً في الحياة العامة للمجتمع، ووجود فاعل للمسلمين في كل مجالاتها وعلى امتداد أفاقها ترمقه الابعاء بالاء كبار والتقدير، ونشير اليه الأكف بالهيبة والتقديس ويرجع اليه الناس في المواقف الصعبة والشؤون المعقدة فيجدون عند المفزع القادر على تذليل الصعاب.

قد يميل البعض من المفكرين ممن يريد أثبات وعيه وإخلاصه في كتابته للتاريخ أو فلسفة التاريخ الى القول بترابط حلقات التاريخ عموماً أو تاريخ الأئمة عليهم السلام خصوصاً، وهذا ما أقدمنا عليه في المرور على سير الأحداث التي مرت على الإمام الحسين عليه السلام من مولده الى شهادته فالتاريخ ليس مجموعة عشوائية من الحوادث، وإنما عبارة عن حوادث مترابطة أي ان فيها أتصالاً وعليّه معلوله، بل بالإمكان القول أن هناك حكمة غيبية نحو التخطيط لهمته من أول التاريخ بمولده الى آخره سواء كان ذلك التاريخ عموماً أو تاريخ الأئمة عليهم السلام ابتداءً من النبي صلى الله عليه وآله وانتهاءً بالإمام المهدي عليه السلام خصوصاً فالأئمة تفذوا مخططاً واحداً مشتركاً ومدروساً ومتفقاً عليه بينهم، ولو كان أي منهم في محل الآخر لفعل نفس فعل الآخر، ومثلاً لو كان أحد الأئمة عليهم السلام الإمام الهادي عليه السلام بدلاً من الإمام الصادق عليه السلام نقتضي الفعل الذي فعله الإمام عليه السلام فأي شخص منهم أن يفعل الفعل نفسه لأن المصلحة الواقعية واحدة لم تتغير كذلك عند الإمام الحسن والحسين عليهما السلام وهما إمامان قاما أو قعدا.. وهنا قطعاً بين كون التاريخ عموماً مخططا في حكمة ودراية وبين تاريخ الأئمة عليهم السلام.

وحاصلة: أن التخطيط العام للتاريخ تكويني والتخطيط في التاريخ الإسلامي تشريعي

أو قل أن ذلك تلقائي وهذا عمدي، نعم كلاهما عمدي بالنسبة الى الله تعالى: وهذا لم يدل الدليل على أن الأفراد قبل الإسلام كانوا يعلمون الحكمة الإلهية، وأنهم ملتفتون الى التخطيط الإلهي بما فيهم الأنبياء عليهم السلام فضلاً عن عامة الناس ولكنه الدليل دل على أن الأئمة الأثنى عشر عليهم السلام كانوا ملتفتين الى ذلك التخطيط والى الحكمة الإلهية كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علي عليه السلام بالصبر فطبقه الإمام على علم وعمد[٧] حتى ورد أنهم جاءوا الى سلمان الفارسي رضي الله عنه وقالوا له: أن أمامك يجر بحمائل سيفه الا تنصره..؟ فقال: لو شاء يقلب ذه على ذه لفعل[٨] فأنه ساكت عن علم وعمد تسليماً لأمر الله تعالى.

وهذا هو التخطيط الإلهي لثورة الإمام الحسين وسيرته وحتى لا نخوض في علم الكلام من هذا المخطط التاريخي العام الموجود في علم الله سبحانه وتعالى وإنما يكفينا هنا مجرد إدراك الترابط العلل والمعلولات في علم الله تعالى وعلم الأئمة عليهم السلام قطعاً فيكفينا هنا ملاحظة بعض العلاقات والقاء بعض الضوء عليها بمقدار ما هو مستنتج ومفهوم الكتاب والسنة عن سيرة الحسين عليه السلام وعلاقته بمن قبله لنكمل بحثنا على شكل نقاط بمقدار ما هو ممكن:

النقطة الاولى: ان وجود الحسين عليه السلام كإمام مفترض الطاعة وأبن رسول الله صلى الله عليه وآله ونحو ذلك كما هو جزء من الإسلام وحركته كذلك هي جزء منه، وخاصة بعد ان سمع قول النبي صلى الله عليه وآله (حسين مني وأنا من حسين) فنسبة الحسين عليه السلام الى السابقين هي نسبة الإسلام لهم لأننا إذ نظرنا الى الإسلام ككل بما فيه الحسين عليه السلام إذن فقد نسبنا الإسلام بما فيه الحسين عليه السلام الى السابقين عليه.

النقطة الثانية: ان الحسين عليه السلام مدافع عن عقيدة التوحيد وعن طاعة الله سبحانه وتعالى وهو أمر ثابت ومشترك بين الإسلام وما قبله كما قال الله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[٩].

النقطة الثالثة: أننا نؤمن بدليل كاف للاطمئنان بعضة ظاهري وبعضه باطني، أن الانبياء السابقين كانوا مسلمين، بل كانوا مسؤولين عن ولاية أهل البيت عليهم السلام إذ لا نجاة لأي بشر من آدم الى يوم القيامة، الا بولايتهم واولى من يلتزم بولايتهم هم المعصومون السابقون على الإسلام الذين هم الأنبياء والرسل.

ويستشهد على ذلك في الكتاب والسنة بشيء من التف البسيطة كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١٠] وقوله تعالى: ﴿أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[١١] فأن بعض الروايات تقول (ما كان تمنى لوط للركن الشديد الا تمنياً لوجود المهدي عليه السلام)[١٢].

ومن هنا ورد قسماً منهم على الأقل كانوا يعملون بالتاريخ المستقبل الذي يحصل لأهل البيت فمن ذلك ما ورد من أن موسى والخضر عليهما السلام حين اجتمعا، كان من جملة ما ذكره مصائب الحسين عليه السلام وما يحدث له في طف كربلاء وبكيا طويلاً لذلك[١٣].

وصف ذلك ما ورد في التوراة والانجيل فقد ورد فيها ظهور النبي صلى الله عليه وآله وظهور المهدي عليه السلام وبعض التفاصيل عن الحسين عليه السلام بالرغم من أن هذين الكتابين محرفان، إلا أنه مع ذلك وجد فيها مثل هذه الأمور بشكل او آخر.

إذن فهناك علاقة حميه بين من قبل الإسلام وبين من بعده بما فيه الحسين عليه السلام.

الحسين عليه السلام وارتباطه بالنبي الاكرم صلى الله عليه وآله:

من خلال هذا العنوان نسلط الضوء على هذه العلاقة التي تعتبر ضروريات الدين، وضروريات التاريخ وإنما نريد ان نقتبس شيئاً من كلمات الحسين عليه السلام كشاهد على علاقته برسول الله صلى الله عليه وآله وبدين رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك من كلمات النبي صلى الله عليه وآله ومن أفعاله كشاهد على ذلك أيضاً.

منها: أنه قال الحسين عليه السلام في بعض خطبه

((أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، ولكن خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر اسير بسير جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ عليّ هنا صبر حتى يحكم بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين[١٤].

ومنها أنه قال: ((لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضا أهل البيت نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمتُه بل هي مجموعة من حضيرة القدس تقربه عينه وينجز به وعده، الا ومن كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء لله نفسه

فليرحل معنا فاني راحل مصحاً أن شاء الله[١٥].

ومنها أنه قال: ((أيها الناس أنسبوني من أنا ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوها وأنظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست أبن بنت نبيكم وأبن وصيه وأبن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزه سيد الشهداء عم النبي؟ أو ليس جعفر الطيار عمي؟ أو لم يبلغكم قول رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولا في هذان سيدا شباب أهل الجنة))[١٦].

ومنها قوله: ((الا ترى لهذا الدين لا يعمل به، والى المنكر لا يتناهى عنه وأن الدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشتهم، فاذا محصوا بالبلاء قال الديانون))[١٧].

ذلك الحسين عليه السلام أكثر الروايات التي تمتدت بتلك العلاقة الظاهرية والباطنية ومنها حين كان صغيراً صعد على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله حال السجود وهو إمام في صلاة الجماعة في المسجد فبقى رسول الله صلى الله عليه وآله ساجداً والجماعة كلها ساجده الى أن نزل باختياره عن ظهره وعندئذ رفع رأسه وهد المعنى الظاهري والمعنى الباطني فمن الاسرار، وهو الأعلام بأهميته الحسين لدى جده الى حد يتعب هو في سبيله ويتعب الناس في سبيله فأن إطالة السجود صعوبة لا محال فيريد أن يبين بذلك عن العلاقة الاجتماعية وأخذ بنظر الاعتبار لأهمية الحسين عليه السلام وهناك روايات أخرى لا يسعنا ان نسهب بها وأخذنا بمقدار ما هو مناسب بطبيعة الحال وهذا الأمر نحن نظر إليه أمراً مربوط بالحكمة الإلهية أو بتصرف أحد المعصومين من قول أو فعل أو الراسخين في العلم وإذا أردنا لبحث في المعنى الباطني فسوف نواجه وعوره في السير وصعوبة في الرؤية الى حد قد يكون أحياناً نجد الباب مغلقاً لنصل الى درجة من اليقين، وفيه بعض الامور التالية:

الأمر الأول: أنه البحث بالبرهان في مباحث العقيدة الإسلامية على ان العلم الإلهي والحكمة الإلهية لا متناهيان ومطلقان ولاحد لهما، وأن اطلاعه جل جلاله على الواقعيات على مختلف المستويات اكيداً وثابت على أوسع نطاق بكل صفاته الذاتية سبحانه وتعالى وكثير من أسمائه فهي لا متناهي العلم والقدرة والحكمة والعدل الرحمة والحياة والوجود والجود والنعمة الى غير ذلك كما ثبت أن العقل الانساني مهما تسامى فهو محدود لا يمكن أن يدرك اللامحدود، أذن فليس أن يدرك العلم الإلهي والحكمة الإلهية كما هي، وإنما ينال منهما بقدر عطا الله له، و(العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء) [١٨].

الامر الثاني: أننا نشعر وجداناً بعد إحاطتنا بالواقعيات على واقعها لا من ناحية العقل (النظري) ولا من ناحية العقل (العملي) فإن العقل لا شك يدرك عدداً من القضايا كثيرة جداً بوضوح تام ووجدان كامل.

ولكنه حين يأتي الى قضايا أخرى ومنها قضية الإمام لحسين عليه السلام فأنه لربما لا يصل الى قناعة أو جزماً معيناً وتكون غير واضحة لذاته أو الشك، في تحقيق موضوعها وموردها بعد التزاحم في أدراك للواقعيات.

الامر الثالث: إننا حين نتحدث عن أمر تاريخي كواقعة الحسين صلى الله عليه وآله فأننا يمكن أن نتمثل بهذا المثل وهو قولهم (يرى الحاضر ما لا يرى الغائب)[١٩] ومن الواضح أنهم كانوا حاضرين ونحن غائبون، وهم مشاهدون ونحن غير مشاهدين إذن فليس من حقنا ان نعترض على أية واقعة تاريخية نشاهدها ولم نحط بها خبرا، أذ لعل أهلها والقائمين بحوادثها قد عملوا ما لا نعلمه من القرائن والحوادث والعلاقات وشخصوا التكليف لهم بان يفعلوا كذا أو يتركوا... وليس من حقنا أن نفتح أفواهنا ضدهم بشيء كما أننا لسنا معاصرين للأحداث وملاحظين لها حال وقوعها.

الامر الرابع: انه يثبت في الفلسفة أن أي شيء في الخلقية فأن وجوده نحواً من الحكمة والهدف، أو قل العله الغائبة كما يعبرون فمثلاً يمكن القول: أن الحسين عليه السلام أنما قام بحركته العظيمة من أجل غرضة الشخصي بينه وبين نفسه وذلك لا جل قيامه بواجب من الواجبات الموكولة إليه والمكلف بها تماماً كما لو صلينا الظهر امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى علينا وجوباً من ناحية وطمعاً للثواب الناتج منها من ناحية أخرى، وقد امر الحسين عليه السلام، كما سيأتي بحثه بهذا الحركة فهو يمثل لأمر الله متوضياً الثواب العظيم والمقامات العليا التي ذخرها الله سبحانه له والتي لا ينالها إلا بالشهادة.

ومحل الشاهد هنا ان التساؤلات عن حركة الإمام الحسين عليه السلام أنما هو من قبيل التساؤلات عن الحكمة الإلهية فيها، وليس من الاغراض الخاصة بالحسين عليه السلام منها كما بحثنها ومن هنا لا يكون الاعتراض عليها والطعن في أهدافها، أنما طعن بالحكمة الإلهية مباشرةً وليس في أغراضه الشخصية.

الامر الخامس: أننا لا ينبغي ونحن ننظر الى فهم التاريخ الإسلامي أن نظر الى القادة الأئمة عليهم السلام كقادة ليس في تفكيرهم مصلحة دنيوية مادية وأنهم أفضل القادة الموجودين الذين لا يقاس بهم أحداً وهم خير القادة الموجودين خلال العصور كلها ومعه يكونون هم المسؤولون عن أهداف حركتهم وأقوالهم وأفعالهم أخذوا كل الأصول الدينية والعقائد الصحيحة بنظر الاعتبار وقد ثبت بالدليل العلمي والواقعي أنهم معصومون مسددون من قبل الله تعالى.. فمثلاً أن الإمام الحسين عليه السلام قد خرج من الكوفة وبالتالي الى كربلاء وهو يعلم أنه سوف يموت وعائلته سوف تسبى وليس الأمر محصوراً به بل يعلم بذلك عدد مهم من الناس ومن هنا نصحه المتعددون أن يعيد النظر في عمله ويستدرك مهمته[٢٠] ولكنه مع ذلك كان مهتماً بها مقبلاً عليها مهما كانت النتائج فلو نظرنا إليها نظرة دنيوية لكانت نظرتنا حركة فاشلة تماماً وإذا جردنا الإمام الحسين عليه السلام قائداً دنيوياً كان رأيه خالياً من الرشد والحكمة.

إذن فالأمر لابد عائد الى الأمر الإلهي والحكمة الإلهية والله سبحانه يريد بإيجاد هذه الحركة أهدافاً تعدل هذه التضحيات الجسام التي قدمها هذا الإمام العظيم سلام الله عليه مؤيداً ومسدداً من قبل الله سبحانه، ومن هنا استطاع أن يعلم بنحو أو آخر بالأمر الإلهي المتوجه إليه بإيجاد حركته أما بالموروث عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وبالعلم اللدني أو التسديد الإلهي الموجود لديه كواحد من الأئمة المعصومين عليهم السلام[٢١].

أهداف ثورة الحسين عليه السلام:

حينما نبحث عن أهداف الحسين عليه السلام في ثورته قائماً لتحدث كما أسلفنا في حدود فهمنا وأدركنا وهو البعيد عن فهم الواقعيات والمحجوب أساساً عن الوصول الى تلك المستويات فنحن نتحدث ما ندركه في أمر منطقي ومعقول كاطروحة مقبولة ومحتملة في هذا العدد وليس كشيء قطعي فمثلاً الطالب في المرحلة الابتدائية لا يفهم النظريات المعقدة والمعمقة والفلسفة في مختلف العلوم وهكذا مستوى أي واحد منها تجاه أي واحد في المراحل المتقدمة، ولكن في حدود ما نفهم فإننا نريد أن نطرح بعض الافكار عن أهداف الإمام الحسين عليه السلام في ثورته فتلك الاهداف لابد ان تكون حاوية على عدد الاهداف لابد منها وكما يلي:

الهدف الاول: أن يكون الشيء الذي نتصوره هدفاً للإمام الحسين عليه السلام أمراً مرضياً لله عز وجل ولا تشوبه شائبة عصيان أو أن يكون مرجوحاً في الشريعة المقدسة بما ذلك.

الهدف الثاني: أن يكون الهدف الذي نتصوره مناسباً مع حال الحسين عليه السلام وشأنه لا أن يكون هدفاً مؤقتاً أو متدنياً أو ضئيلاً فان ذلك مما لا يصح له وجود في التضحية الكبيرة التي أقامها الحسين عليه السلام وعاناها فإنها عندئذ لا تكون معقوله ولا عقلانية وإنما لابد أن يكون الهدف معمقاً وواسعاً واكيداً وشديداً بحيث يسع كل التضحيات، وهذا الدليل على بقاء ثورة الحسين عليه السلام منذ شهادته الى يومنا هذا باقية ما بقيت الحياة لحين ظهور الإمام المنتظر عليه السلام.

الهدف الثالث: هناك بعض الأعمال يعتبر القديح بأهدافها استناداً لها وتكون عندئذ عقيمة وغير منتجة وهذا آخر التأويلات المهمة لما ورد (استعينوا على أموركم بالكتمان) [٢٢] أننا إذ عرضنا في مقدمات هذا البحث المحتمل أن يكون تصريح الإمام الحسين عليه السلام بأهدافه قبل حركته مفسداً لمهما مخرب لنتائجها، ومن ثم سيكون المتعين عليه كتمان ما يريد والصمت عما يستهدفه حفظاً للنتائج من الضياع إذ من المؤسف حقاً وجداً حركة مهمة من هذا القبيل الذي به سلام الله عليه وتضحية ضخمة على الغرار ومع ذلك لا تكون منتجة ولا نافعة، إذن فمن الضروري أن تكتم أهدافه الحقيقة في سبيل صحتها وانتاجها، أذن فهذا الشرط الرابع، وهو أن نتوقع سماع الأهداف منه عليه السلام ليس بصحيح، وهذا بخلاف ما سوف نذكره.

الخطط الاستراتيجية للإمام الحسين عليه السلام:

ما يحتمل أن يكون الأهداف المرسومة للإمام الحسين عليه السلام في حدود تفكيرنا وإدراكنا كما يلي نذكرها بما يلي:

النقطة الاولى: أن لا يباع الحاكم الاموي يومئذ كما طلب منه فإنه عليه السلام رفض ذلك بكل قوة وصمود، كما ورد عنه أنه قال ((ومثلي لا يبايع مثله[٢٣] فقد تحمل القتل وهذه التضحيات الجسام في سبيل ترك هذه البيعة الدنيئة، وفيها عددت احتمالات كما يلي:

أ – أنه كان يمكنه سلام عليه تجنب كلا الأمرين.

المبايعة والتضحية معاً فلماذا أختار التضحية مع امكان تجنبها.

ولكن هناك الضغط العظيم الذي وجهته الدولة الأموية يومئذ طلباً للمبايعة وتهديداً بالموت، ويدل عليه أيضاً ما ورد عنه سلام الله عليه من قوله ((الا وأن الدعي أبن الدعي

قد خيرني بن السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون)).

ب - أن عدم المبايعة هنا كما هو هدف الحسين عليه السلام هدفاً شخصياً وإلهياً منا لحكمة الإلهية أيضاً.

ج - أنه كان يمكنه أن يخرج الى بلاد بعيدة لا تنالها يد الأمويين كاليمن أو الهند أو الأفغان أو غيرها لينجوا من القتل والبيعة معاً وخاصة وأن الدول في ذلك الحين لم تكن تملك أمكانيات الدول الحاضرة ولم يكن في استطاعتها الحرب في الأماكن البعيدة وقد ورد عن بعض ناصيحة والمشفقين عليه بالخروج، فلماذا لم يفعل وجواب ذلك يتم في وجوه نذكره أهمها[٢٤]:

١- كيف خاض الإمام علي عليه السلام قبل مقتل الحسين بمدة طويلة حروباً مروعة كصفين والنهروان أما عن لحديث عن حروب الجاهلية السابقة على الإسلام فحدث ولا حرج.

إذن فالناس في ذلك الحين كانوا مقاتلين شجعاناً ومتدربين على تحمل أنواع الصعاب في سبيل ما يطمحون إليه من الأهداف أو ما يؤمرون به من الاغراض إذن فمن المحتمل جداً بل السائغ تماماً أن نتصور أن الحسين عليه السلام أينما ذهب فسوف يرسل الحاكم الأموي خلفه جيشاً عرمرماً للقضاء عليه وقتله أو أن يرسل اليه من يقتله غيلةً أينما وجده وليس كل ذلك على المفسدين ببعيد.

٢- أن الإمام الحسين عليه السلام لو ذهب بعيداً لأرجف عنه أعداؤه أنه ذهب منهزماً عن المواجهة وفاراً من الملاقاة ولو وصفوه بكل عظيمة والاعلام الأموي يومئذ وفي كل يوم على استعداد ولذلك على أي حال.

وهذه لا يرده لنفسه بعد أن كان يعيش من نقطة قوة وبروز في المجتمع بصفته سبط الرسول صلى الله عليه وآله وأبنه وسيد شباب أهل الجنة والإمام المفترض الطاعة لطائفة المسلمين.

وكيف ونحن نجد أعداءه قد أرجفوا ضده بالرغم من تضحيته وصبره وصموده فكيف الحال أو أختار الاحتمال الآخر وأن كان يدرك أن فيه بعض المصالح على أي حال، وعليه سلام الله عليه عندئذ لا يكون ناجحاً في عمله حتى لو ذهب الى مكان بعيد.

٣- أننا لا ينبغي أن نتوقع أن يذهب الحسين عليه السلام الى أي نقطة في العالم كيف كانت ولنا لم يذكر له الذين ناقشوه على الخروج إلا منطقة واحدة هي اليمن: وقالو له: (أن فيها شيعة لا بيك[٢٥] لان أباه أمير المؤمنين عليه السلام ذهب الى اليمن بأمر النبي صلى الله عليه وآله ردحاً من الزمن ورآه اليمنيون وأحبوه.

أما ذهابه الى منطقة أخرى فغير معقول اطلاقاً إما لكونهم ضد الحسين عليه السلام كما حصل في الكوفة وكربلاء وأما لانهم مسلمين أما لأنهم غير عرب أساساً نتعذر العيش معهم لاختلاف لغتهم. وأما لأنهم متخلفون حضارياً بحيث يضيع وجوده بينهم وينقطع خبره عن الآخرين وكل ذلك غير معقول ولا يريد الحسين لنفسه.

٤- الممكن لحركة الحسين عليه السلام الامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى إياه بها ذلك الأمر بالمعروف لديه أما بالإلهام أو بالرواية عن جده النبي صلى الله عليه وآله[٢٦] وكان يطلب ثواب الله والأجر الأخروي على ذلك تماماً كما يفعل أي مؤمن حين يؤدي لك درجات عند الله عز وجل لن تنالها الا بالشهادة[٢٧] كما يدل عليه ما ورد أنه بعد مقتله عليه السلام وضعت أخته الحوراء زينب سلام الله عليها يديها تحت جسده الطاهر وقالت: اللهم تقبل منا هذا القربان لوضوح القبول أنما يكون لعمل من أ عمال الامتثال والطاعة[٢٨].

من خلال هذه الاهداف التي طرحناه بشكل موجز ولو توسعنا بها لطال بنا البحث ولربما لا يسعنا في هذه الوريقات طرحها فأوجزنها لنصل الى العراق بعد أن أرسل رسوله مسلم بن عقيل أمثالاً الى الرسائل التي أرسلت إليه مئات بل الاف الدعوات لاستلام الحكم وإقامة العدل في الكوفة، ولو أستعرض المواقف من خلافة يزيد بن معاوية ابتداء من المدينة المنورة ومكة والكوفة وبقية الامصار الإسلامية أضافة الرسائل التي أرسلت الى الإمام الحسين عليه السلام.

كان موقف المدينة المنورة من يزيد وبيعته بعد هلاك معاوية كموقفها من بيعته في حياة معاوية رفض صريح وامتناع صلب، وثبات جرى على ذلك في كل الاحوال.

ولكن ماذا كان موقف الأمصار الإسلامية الأخرى من هذه الخلافة المفروضة، بعد أن جد الجد، وأعلن يزيد نفسه ملكاً على المسلمين..؟

النقطة الثانية الكتب والمواثيق: ولنبدأ بعاصمة العراق (الكوفة) لنقف على مجمل حالها في تلك الايام فقد أورد الطبري بسنده، قال اجتمعت شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام في منزل سليمان بن صرد فقال سليمان، أن معاوية قد هلك وأن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته وقد خرج الى مكة، وأنتم شيعته أبيه فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه وإن خفتم الوهل والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه قالوا لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه.

قال: فأكتبوا اليه.

فكتبوا اليه: بسم الله الرحمن الرحيم.

الى/ الحسين بن علي، من سليمان بن صرد والمسيب بن نجبه ورفاعة بن شداد وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك فأنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد.

فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد، الذي أنتدى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها وأستبقى اشرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن يشير في قصر الأمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه الى عيد ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشام، إن شاء الله وسلام عليك ورحمة الله عليك[٢٩].

وأرسل الكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني وعبد الله بن وآل فخرجا مسرعين حتى قدما على الحسين عليه السلام بمكة المكرمة لعشر مضين من شهر رمضان.

فقرأ الحسين كتاب أهل الكوفة فسكت ولم يجبهم بشيء[٣٠].

وكتب إليه شبت بن ربعي وحجار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم وعزرة بن قيس وعمروا بن الحجاج الزبيدي ومحمد بن عمير التميمي كتاباً قالوا فيه: أما بعد فقد أخضر الجناب وأينعت الثمار وطمست الجمام فاذا شئت فاقدم على جند لك مجند.. والسلام عليك[٣١].

ثم خرج من الكوفة كل من قيس بن مسهر الصيداوي وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي وعمار بن عبيد السلولي قاصدين الحسين عليه السلام بمكة يحملون معهم في رواية الطبري نحواً من ثلاثة وخمسين صحيفة من الرجل والأثنين والاربعة وفي رواية أبن الأثير وأبن كثير: ومعهم نحو من مائة وخمسين كتاباً الى الحسين والحسين في كل ذلك يتأنى في أمره فلا يجيبهم بشيء ثم سرح إليه هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي يحملان رسالة جاء فيها بعد البسملة: لحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين أما بعد: فجتهلاً، فأن الناس ينتظرونك ولا رأي لهم في غيرك فالعجل العجل، والسلام عليك، وهكذا أستمرت الكتب في وصولها متلاحقة متواليه حتى بلغ بجموع أسماء مرسلي تلك الكتب من الكوفة الى الحسين حتى بلغ مجموع أسماء مرسلي الكتب من الكوفة الى الحسين عليه السلام في رواية الذهبي (مائة الف)[٣٢]. حتى ارسل الحسين عليه السلام كتاباً مع هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي، الى اهل الكوفة جاء فيها بعد البسملة:

من حسين بن علي الى الملأ من المؤمنين والمسلمين أما بعد فان هانئا من رسلكم، وقد فهمت كل الذي أقتصتم وذكرتم، ومقاله جلكم أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت اليكم أخي وأبن عمي وثقتي من أهل بيتي وأمرته أن يكتب اليّ بحالكم وأمركم ورأيكم فإن كتب اليّ أنه قد أرجع رأي ملاكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت علي به رسلكم وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام الا العامل بالكتاب، والأخذ بالقسط والدائن بالحق، والحابس لنفسه على ذات الله والسلام[٣٣].

ثم دعاء الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل مبعوثه الى أهل العراق فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبيد السلولي وعبد الرحمان بن عبد لاله الأرحبي فأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف فإن رأي الناس مجتمعين مستوسقين عجل إليه بذلك.

ودخل مسلم الكوفة ونزل بدء دار المختار بن أبي عبيد وأقبل الناس يختلفون إليه وكلما اجتمعت جماعة فهم عنده قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام ولم يكترث الناس بتهديد الوالي ووعيده في الكوفة بل كانوا يختلفون على مسلم زرافات ووحداناً يظهرون الطاعة ويعقدون البيعة، ويعلنون استعدادهم لبذل الغالي والنفيس في سبيل الله تعالى حتى بايع مسلم بسند

رواية أبن أعثم (ينف وعشرون ألفا[٣٤] ورواية بأبن عبد ربه اكثر من ثلاثين ألفاً) [٣٥].

حتى كتب مسلم بن عقيل الى الحسين عليه السلام أما بعد: فأن الرائد لا يكذب أهله أن جمع أهل الكوفة معك، فأقبل حين تقرأ كتابي والسلام.

فلما تسلم الحسين عليه السلام كتاب مسلم وأطلع عليه كتب الى أهل الكوفة أنه قادم عليهم:

أما بعد: فان كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم واجتماع ملاكم على نصرنا والطلب بحقنا فسألت الله أن يحسن لنا الصنع وأن يثبتكم على ذلك أعظم الأجر وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين في ذي الحجة يوم التروية فاذ اقدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم وجدوا فأني قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله[٣٦].

من خلال هذه الرسائل والمجتمعين عند مسلم بن عقيل في الكوفة لم يكن بعيداً على المنافقين والجواسيس لبني أمية، مما رفعت كتب الى دولة بن أمية ما يحصل في الكوفة وقدوم الحسين إليها، حتى بلغت أبناءها وأحداثها مسامع ملك الشام وبطانته فهزتهم هزا، وآثارت في نفوسهم الرعب والهلع وساءهم جداً موقف واليهم هناك وما رأوا فيه مما يدعي في لغة الجبابرة صنعاً وخاذلاً وسرعان ما أصدر يزيد أمر بعزل النعمان بن يشير وتسلم الأمر الى عبيد الله بن زياد..

وخفّ الوالي الجديد الى الكوفة عجلاً لتسلم عمله وبدأ منذ اللحظة الأولى لقدومه بوضع الخطط وبتنفيذ تلك الخطط لإفساد الجو العام وايقاع الفتنة في صفوف الناس، حتى تداعت الاحداث بسرعة وعنف وعم الإرهاب كل حي وبيت وسالت الاموال كل سيل لشراء الذمم وأستجار العملاء واسترقاق النفوس الذليلة وثم أثر ذلك بسببه إحداث شرخ كبير في تماسك أولئك الذين بايعوا الحسين ومسلماً عليهما السلام ثم وقعت الفتنة حتى وقعت المعركة بين مسلم بن عقيل وقوات ابن زياد وأسفر في نهايتها عن مسلم وهاني بن عروة المرادي قتيلين يجران بأرجلهما في السوق.

وإرسال رأسيهما هدية متواضعة من أبن زياد الى يزيد[٣٧] كما قتل معهما أناس آخرون، وسر يزيد بما فعله عبيد الله سروراً كبيراً فكتب إليه يشكره على ذلك.

وسار موكب الحسين عليه السلام على الرغم من كل ما حدث متجهاً الى الكوفة حاملاً راية

مقارعة الظلم والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تنفيذاً لأمره عز وجل وإعلاء لكلمته.

وأتخذ حاكم الكوفة الجديد كل ما أمكن أتخاذه وبكل الوسائل المتاحة لديه لعدد هذا الزحف الإسلامي القادم.

وكان من جملة إجراءات أبن زياد بعثه الحصين بن تميم التميمي وكان على شرافة وأمره إياه أن ينزل القادسية وأن يضع المسالح ومراكز المراقبة في جميع أنحاء المنطقة الممتدة من القطقطانه وخفان كما بعث الحر بن يزيد الرياحي في ألف فارس من رجاله ليستقبل الحسين في قلب الصحراء.

وخرج هذان القائدان بمن معهما، وبدأ كل واحد منهما بتنفيذ المهمة التي أوكلت إليه.

وبلغ الحر الرياحي من مسيره الى حيث يعسكر الحسين عليه السلام وموكبه فلما ألتقى الجمعان وقف سيد الشهداء خطيباً فحمد الله تعالى وأثنى عليه: ثم قال: ((أيها الناس، إنما معذرة الى الله عز وجل وإليكم، إني لم أتكم حتى أقتني كتبكم وقدمت علي رسالكم، أن أقدم علينا فانه ليس لنا إمام لعل الله يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهدوكم ومواثيقكم أقدم مصدكم، وان لم تفعلوا أو كنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذي أقبلت منه إليكم: فسكتوا عنه[٣٨].

ثم خطب فيهم الحسين عليه السلام مرة أخرى بعد صلاة العصر وكان مما قاله في مخاطبتهم أيها الناس فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرض الله ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الامر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وأن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم وقدمت به عليّ رسالكم وانصرفت عنكم:

فقال الحر بن يزيد إنا والله ما ندري ما هذه الكتب التي تذكر، فقال الحسين عليه السلام لعقبة بن سمعان وهو أحد أصحابه أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم الي فأخرج خرجين مملوئين صحفاً فنشرها (نثرها) بين أيديهم.

ثم سار الحسين عليه السلام من هناك والحر يسايره حتى وصل منطقة البيضة فقام هناك خطباً فقال أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في ساد الله بالأثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول

كان حقاً على الله ان يدخله مدخله ألا وأن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود وأستاثروا بالغي وأحلوا حرم الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير قد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم، أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تمتعتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي وأبن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله نفسي مع نفسكم وأهلي مع أهلكم فلكم فيّ اسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم وخلعتم بيعتي من اعناقكم فلعمري ما هي لكم نكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وأبن عمي مسلم والمغرور من أغتر بكم فحظكم أخطأتم وتصييكم ضيعتم ومن نكث فإنما ينكث على نفسه وسيغني الله عنكم[٣٩] حتى خطب مرة أخرى لا يسعنا البحث فيها عندها قام زهير بن القين الجبلي من بين صفوف الحاضرين فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

قد سمعنا - هداك الله يا أبن رسول الله - مقالتك والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين إلا أن فراقها في غرك ومواساتك لأثرنا الخروج معك على الاقامة فيها.

ثم أقبل الحر على الحسين مسفقاً فقال:

أني أذكرك الله في نفسك فأني أشهد لئن قاتلت لتقاتلن ولتكن قوتلت لتهلكن فيها أرى.

فقال الحسين عليه السلام.

أبنا لموت تخوفني، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني ما أدري ما أقول لك ولكن أقول كما قال أخو الأوس:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

وآسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً يغش ومرغماً[٤٠]

ولقي الحسين في ذلك أربعة ممن كانوا قد خرجوا من الكوفة سراً لينضموا الى ركبه فسألهم عن الكوفة وأخبارها فقال له مجمع بن عبد الله العائذي وهو أحدهم.

أما أشراف الناس فقد أعظمت رشوتهم وملئت غرائزهم، يستمال ودهم ويستخلص به نصبحنهم فهم ألب واحد عليك.. وأما سائر الناس بعَدُ فان أفتدتهم تهوي إليكم وسيوفهم غداً مشهورة عليك.

ثم سألهم عن أخبار رسوله الى الكوفة قيس بن مسهر الصيداوي فقالوا أخذه الحصين بن تميم فبعث به الى أبن زياد، فأمره أبن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلى عليك وعلى أبيك ولعن أبن زياد وأباه، ودعا الى نصرتك وأخبرهم بقدومك فامر به أبن زياد فالقي من صلمار القصر.

فترقرقت عينا الحسين عليه السلام ثم قال: منهم من قضى نحبه ومنهم من ينظر وما بدلوا تبديلا[٤١] وخفق الحسين عليه السلام وهو مرتحل من قصر بن مقاتل خفقة ثم أنتبه وهو يقول، إنا لله وأنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين، فأقبل إليه أبنه علي الأكبر فقال: يا أبت ـ جعلت فداك – مم حمد الله واسترجعت..؟ قال القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم فعلمت أنها أنفسنا نعيت إلينا.

قال يا أبت، لا أراك الله سوءا ألسنا على الحق؟

قال بلى والذي إليه مرجع العباد.

قال: يا أبت إذاً لا نبالي.

فقال: جزاك الله خيراً من ولدٍ خير ما جزى ولداً عن والده[٤٢].

ثم أصبح الحسين فصلى الغداة ثم عجل الركوب فأخذ يتباسر بأصحابه فيأتيه الحر بن يزيد فيردهم، فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا الى المكان الذي نزل الحسين (كربلاء) فإذا راكب مقبل من الكوفة، فوقفوا جميعاً ينظرونه فلما أنتهى إليهم سلم على الحر ودفع إليه كتاباً من عبيد الله بن زياد، فاذا فيه:

أما بعد: فجعجع بالحسين حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلا بالعراء في غير حصنٍ وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بانفاذكَ أمري.

فلما قرأ الحر الكتاب قال للحسين وأصحابه: هذا كتاب الامير عبيد الله بن زياد يأمرني فيه أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني فيه كتابه، وهذا رسوله وقد أمره ألا يفارقني حتى أنفذ رأيه وأمره.

وأخذ الحر القوم بالنزول في ذلك المكان، على غير ماء ولا في قرية فنزلوا وذلك يوم الخميس.. الثاني من المحرم سنة إحدى وستين هـ.. وكان ذلك بمثابة الأعلان الصريح

للحرب: بل البدء بها عملياً منذ اليوم.

ولم يكن في هذا كله ما يغير في خطط الحسين أو يضيف اليها جديداً لم يحسب حسابه من قبل فقد كان عليه السلام منذ خروجه من المدينة ولم يداع وصيته عند أخيه محمد بن الحنفية، كان عارفاً بالأمر بكل ملابساته واحتمالاته وطوارئه بل منتظراً تلك المفاجأت انتظار الخبير المدرك المبصر ومقبلاً على الموت والشهادة إقبال الواله المتلهف ومتجهاً نحو الهدف بكل عزم وإقدام وتصميم وهو بعد في الحجاز قبل التوجه الى العراق قائلاً بصريح اللفظ وواضح التعبير: من لحق بي أستشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح(٤٣) وهذا التصريح يدل على المعنى الباطني يختلف عن سياق الخطط العسكرية التي دائماً تحفز القادة والجيش على رفع معنوياتهم ولكن الحسين عليه السلام بنظره الثاقب كان يعلم أن هذه العراحة سوف تجلب له أولئك المقدمين على الشهادة بصدقٍ وإصرار والمستعدين لبذل النفس برضا واندفاع وتبعد من طريقه جميع النفعيين والانتهازين وضعاف النفوس والعزائم كما كان يعلم حق العلم أن استشهاده واستشهاد هؤلاء المؤمنين الصادقين سوف يحقق الفتح المنشود والعصر الموعود ولعل المتتبع والباحث المدقق المتأمل الذي يمعن النظر ملياً في مجموع أحاديث الحسين عليه السلام وخطبه التي تقدمت يستطيع أن يخرج منها بهذه المحصلة فحسب، وإنما بخلاصة دقيقة وافيه لمجمل أسباب الثورة ودوافعها ووقائع الاحداث ونتائجها على مشكل نقاط:

النقطة الاولى: أكد الحسين عليه السلام في خطبه لأهل الكوفة قد بايعوا وقد أتته كتبهم ورسلهم بهذا الشأن وكان معه خرجان مملوآن بصحف القوم وكتبهم، ولم يكن أهل الكوفة في بيعتهم إياه قد نقضوا بيعه يزيد لانهم لم يبايعوه أبداً وقد صرحوا بذلك في كتبهم إذ قالوا: ليس لنا إمام اي ليست في أعناقنا بيعة لاحد، وهو عليه السلام يريد أن يفضح نوايا أولئك الذين سيكتبون في هذا الموضوع بعد أربعة عشر قرناً تقريباً فيزعمون ان بيعة يزيد بيعة شرعية، ومن خرج عليه كان باغياً(٤٤).

في حين أنه لم يكن هناك بيعةً مطلقاً ليبحث في أمر شرعيتها أو عدمه، ولم يكن عليهم خليفة بالمعنى الاسلامي للخليفة كي ينظر في حكم الخروج عليه.

النقطة الثانية: أكد الحسين عليه السلام أيضاً في خطبه هذه: أنه أولى بولاية هذا الأمر بموجب النصوص النبوية من جهة والالتزام بأحكام الإسلام من جهة أخرى وبل أنه صاحب الحق

الشرعي فيه باعتراف معاوية كما تكررت الاشارة الى ذلك وبما أنه الاولى بالأمر وصاحب الحق كانت ثورته ثورة شرعية منسجمة مع كل المبادئ السماوية والمعايير المنطقية.

النقطة الثالثة: أكد الحسين عليه السلام أيضاً في تلك الخطب أن النبي صلى الله عليه وآله قد أمر بمحاربة السلطان الجائر المستحل لحرمات الله الناكث بعهد الله المخالف لسنة رسول الله العامل في عباد الله بالإثم والعدوان، كما أكد أن أولئك الحكام المدعين ما ليس لهم ساروا في الناس بالجور والسوء ولزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا الفيء وأحلو حرام الله وحرموا حلاله، وأن التغير في هذه الحالة واجب على الجميع تنفيذاً لأمر الله المبلغ الى المسلمين على لسان رسوله الأمين صلى الله عليه وآله ولن يصح أن نسمي مثل هذا التعبير تفريقاً لصفوف الأمة أو تصديعاً لبنيانها كما يزعم وعاظ السلاطين، أو أن نطلق عليه صفة الفتنة العمياء والخروج الباغي، لأننا إذا سمينا محاربة السلطان الجائر فتنة وخروجاً عن الشرع والشرعية نكون قد ألغينا كل الاحكام الاسلامية والنصوص المقدسة في وجوب تغيير المنكر والنهي عنه بجميع الوسائل المتاحة والإمكانات المتوفرة.

النقطة الرابعة: ولكي يقيم الحسين عليه السلام الحجة بكل وسائلها وأساليبها ويظهر للعيان حقيقة عدوه التي ربما جهلها بعض الناس يوم ذاك أعلن على الجميع أنه أنما جاء إلى العراق استجابة لنداء أهله وتلبية لطلبهم ودعوتهم وأنهم إذ كانوا قد ندموا على دعوته فنكثوا البيعة ونقضوا العهد وكم هوا مقدمه فأنه مستعد للانصراف والعودة من حيث جاء.

ولم يكن هذا المقترح من الحسين منبعثاً من شعور وخوف وجبن وحب للحياة أو دليلاً على إحساس بفشل أو هزيمة ولكنه كان يريد أن يوضح للامة بالدليل القاطع الساطع أن آل أبي سفيان وبطانتهم من المرتزقة والولاة كانوا مصممين على قتله على كل حال، وأنهم لن يقبلوا من هذا الصدد أي حل سلمي ينهي المشكلة ما لا يحقق مآربهم الشريرة بل لن يقنعهم من الحسين الا إلاذعان لجلالة السلطان أو القتل.

النقطة الخامسة: بهذه النوايا الأموية الخبيثة أعلن مراراً في خطبته استعداده الكامل للموت والشهادة في سبيل الله ورغبته الصادقة في لقاء ربه وأن الحياة مع الظالمين لا تطاق وأن الموت إحقاقاً للحق وأبطالاً للباطل هي السعادة المأمولة والغنيمة المنشودة، وأنه ليس بالموت عار على الفتى إذا ما جاهد مخلصاً، وأسلم أمره الى الله محقاً، وقارع الظلم

والظالمين حتى يلفظ النفس الأخير.

الا أن الجيوش الأموية بدأت تتوارد على كربلاء لحرب الحسين عليه السلام وخطب عبيد الله بن زياد في الكوفة يحرض الناس على الخروج الى الحرب، وذكر أن الأمير يزيد بن معاوية قد زاد في إكرامهم[٤٥] وفي نص الخوارزمي وقد زاد في أرزاقكم المئة بالمئة.

وقد كان مجموع من حضر في اشهر الروايات (٢٢) ألفاً من المقاتلين موزعة على القادة منهم عمر بن سعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة الاف وقدم شمر بن ذي الجوشن السلولي في أربعة ألاف وأنضم من كان مع الحر بن يزيد الرياحي الى هؤلاء وكان عددهم ألفاً ثم تبعه زيد بن ركاب الكلبي في الفين والحصين بن نمير السكوني في أربعة الاف والمصابر المازي في ثلاثة الاف ونصر بن حرية في الفين ثم قدم شبث أبن ربعي في الف فارس وحجار بن أبجر في الف فارس.

فقد روي أبن عنبه الداوودي أنهم ثلاثون ألفا[٤٦] وذكر الطرماح بن عدي أنه رأى بظهر الكوفة من الناس ما لم ترى عيناه في صعيدٍ واحد جمعا اكثر فيه فسألت عنهم فقيل اجتمعوا ليعرضوا ثم يسرحون الى الحسين[٤٧] وعلى كل تلك الروايات أنهم جاءوا لقتال أبن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى صدرت الاوامر الى أبن سعد بن أبي وقاص بتنظيم الأمر الأول الصادر إليه بحرمان الحسين عليه السلام من الماء تسلم الأمر ثم أتبعه بأمر آخر جديداً من ابن زياد جاء فيه:

أنظر فإن نزل الحسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فأبعث بهم الي سلماً وأن أبو فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فأنهم لذلك مستحقون فإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فأنه عاق مشاق قاطع ظلوم ولما الحسين كما يعلم أبن سعد وأتباعه رافضاً للاستسلام والذل والخنوع والخضوع فقد وضع هذا القائد خطة الهجوم بطل تفاصيلها وحرم على أن يكون ذلك عصر التاسع من المحرم فعبأ جيشه ورتبهم في مراتبهم وأقام الرايات في موضعها فأحاطوا بالحسين من كل جانب جعلوه في مثل الحلقة، وخرج الحسين في بين أصحابه لما علم بالأمر ليقيم الحجة على هؤلاء الاعداء، تنبيها لغافلهم وإرشاداً لجاهلهم - فأتى جيش عدوه فاستنصتهم، فأبوا أن ينصتوا فقال لهم ويلكم، ما عليكم أن تنصتوا إلي فتسمعوا قولي، وإنما أدعوكم الى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان حق

المرشدين ومن عصاني كان حق المهلكين، وكلكم عاصٍ لأمري، غير مستمع لقولي قد أنخزلت عطياتكم من الحرام، وملئت بطونكم من الحرام فطبع الله على قلوبكم ويلكم ألا تنصتون..! ألا تسمعون..!

فتلاوم أصحاب عمر بن سعد وقالوا: أنصتوا له، فقال الحسين عليه السلام تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً، أفحين استنصر ختمونا ولهين متحيدين، فأصرخناكم مؤدين مستعدين، سللكم علينا سيفاً في رقابنا وحششتم علينا نار الفتن التي جناها عدوكم وعدونا، فأصبحتم ألباً على أوليائكم ويداً عليهم لأعدائكم بغير عدلٍ أفشوه فيكم ولا أملٍ أصبح لكم فيهم الا الحرام من الدنيا أنا لو كم، وخسيس عيش طمعتم فيه من غير حدث كان منا ولا أرى تفيل لنا، قهلاً لكم الويلات إذ كرهتمونا وتركتمونا فتجهزتموها والسيف لم يشهر والجأش طامن، والرأي لم يستصحف، ولكن أسرعتم علينا كطيرة الدبا، وتداعيتم إلينا كتداعي الفراش فقبحاً لكم فأنما أنتم في طواغيت الأمة وشذاذ الاحزاب ونبذة الكتاب ونفته الشيطان وعصبة الاثام ومحرفي الكتاب، ومطفئي السنن وقتله أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤدي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين وأنتم أبن حرب وأشياعه تعتمدون وأيانا تخدلون أجل ـ والله لخذل فيكم معروف، وشجت عليه عروقكم وتوارثته أصولكم وفروعكم ونبتت عليه قلوبكم وغشيت به صدوركم وفروعكم، ونبتت عليه قلوبكم وغشيت به صدوركم ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً فأنتم والله هم ألا أن الدعي أبن الدعي قد ركز بين أثنين بين القتلة والذلة، وهيات منا أخذ الدنية أبى الله ذلك ورسوله وجدود طابت وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبيه لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.

الا أني قد أعذرت وأنذرت.

الا أني زاحف بهذه الأسرة على قلة العتاد وخذلة الأصحاب.

أما أنه لا تلبثون بعدها الا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحي، عهدُ عهده إلي أبي عن جدي ((فأجمعوا أمركم وشركاءكم فكيدون جميعاً ثم لا تنظرون)) أني توكلت على الله ربي وربكم اما من دابة الا هو آخذ بناصيتها، أن ربي على صراط مستقيم.

ثم دعا الحسين عليه السلام عليهم بهذا الدعاء.

((اللهم أحبس عنهم قطر السماء، وأبعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبره فلا يرع فيهم أحداً قتله بقتله وضربة، بضربة ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي فهم فأنهم غرورنا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا واليك المصير[٤٨].

وبعد أن أنهى الحسين عليه السلام خطابه طلب من أبن سعد الإمهال الى صباح اليوم التالي، فأستجاب العدو لذلك.

وجمع الحسين أصحابه في تلك الليلة الليلاء، وخطب فيهم فقال: أثنى على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء اللهم أني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة وعلمتنا بالقرآن وفقهتنا في الدين فأجعلنا لك شاكرين.

أما بعد: فأنني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا أخير من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً فأنطلقوا في حلٍ ليس عليكم مني ذمام.. هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجلٍ منكم بيد رجل من أهل بيتي، ثم تفرقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله فإن القوم يطلبوني، ولم أصابوني لهواعن طلب غيري[٤٩].

فقال له أخوته وأبناءه وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر لم نفعل؟ لنبقى بعدك لا أرنا الله ذلك أبداً.

فقال الحسين عليه السلام يا بني عقيل حسبكم من القتل بمسلم، أذهبوا فقد أذنت لكم قالوا لا والله لا نفعل، ولكن نفديك أنفسنا وأموالنا وأهلنا ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك.

وقام إليهم مسلم بن عوسجة الأسدي فقال: أنحن نخلي عنك ولما نعذر الى الله في أداء حقك..! أما والله حتى أكسر في صدورهم محي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمة في يدي، ولا أفارقك ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى اموت معك.

وقال سعيد بن عبد الله الحنفي: والله لا تخليك حتى يعلم الله أنا حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك والله لو عملت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق حيا ثم أذر ـ يفعل ذلك بي سبعين

مرة ـ ما فارقتك حتى القي حمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتله واحدة، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

كذلك قال زهير بن القين: والله لو ردت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت، حتى أقتل كذا الف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وأنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

وتكلم جماعة أصحابه بغلام يشبه بعضه بعضاً في وجهٍ واحد فقالوا والله لا نفارقك ولكن أنفسنا لك الفداء نقيك بنحورنا جباهنا وأيدينا فاذا نحن فقلنا كنا وفينا وقضينا ما علينا[٥٠].

وأصبح الصبح الحزين مع إطلالة خيوطه الأولى على الأفق زحف جيش الضلالة الأموي نحو معسكر الحسين عليه السلام وكان ذلك عند شروق الشمس[٥١] بعد صلاة الصبح.

وخرج الحسين وصحبه لاستقبال القوم فلم يجد أبو الشهداء بدأ من تكرار الحجة وإعادة التحذير والتنبيه عسى أن يكون بين هذه الآلاف من يتعظ ويعتبر، ومن يذعن قلبه لكلمة الحق فيعود عن غيه.

وكان ما قاله عليه السلام في خطابه الاول صباح عاشوراء.

((الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزال متصرفه بأهلها حالاً بعد حال فالمغرور عن غرته، والشقي من فتنته فلا تغرنكم هذه الدنيا فأنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمرٍ قد أسخطتم الله فيه عليكم، فاعرض بوجهه الكريم عنكم وأحل بكم نقمته، وحينكم رحمته فنعم الرب ربنا وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة وآمنتم بالرسول محمد ثم أنكم زحفتم الى ذريته تريدون قتلهم لقد أستحوذ عليكم الشيطان فأنسكم ذكر الله العظيم فتبا لكم ما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون[٥٢].

وتوالت خطبه أخرى لألقاء الحجة عليهم، عسى أن يتعظون: ثم قال عليه السلام ((أيها الناس، أسمعوا الى قولي ولا تعجلون حتى أعظكم أما بعد فأنسبوني فانظروا من أنا ثم أرجعوا الى انفسكم وعاتبوها: فانظروا اهل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي..؟ ألست أبن بنت نبيكم وأبن وصيه وأبن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه..؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي..؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي...؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي ولأخي هذان سيدا شباب أهل

الجنة، فأن صدقتموني بما أقول ـ وهو الحق فوالله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله.. وأن كذبتموني فان فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم.. أفما في هذا حاجز لكم من سفك دمي..؟ فإن كنتم في شكٍ من هذا القول أفتشكون أثراً أني أبن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنتي نبي غيري.. أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو مال استهلكته، أو بقصاصٍ من جراحه...)) فأخذوا لا يكلمونه.

ثم نادى عليه السلام يا شبث بن ربعي وحجار بن أبجر ويا قيس أبن الأشعث ويا يزيد بن الحارث ألم تكتبوا الي أن قد أينعت الثمار وأخضر الجناب وطمت الجمام، وإنما تقدم على جندٍ لك فحبذ.

قالوا له: لم نفعل: فقال سبحان الله! بلى والله لقد فعلتم، ثم قال: أيها الناس إذكرتموني فدعوني أنصرف عنكم الى مأمني من الارض.

فقال له قيس بن الأشعث أو لا تنزل على حكم بني عمك..؟

فقال الحسين عليه السلام لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر قرار العبيد حتى قال عليه السلام في خطاب آخر: قد نزل بي ما ترون من الامر وأن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر معروفها وأشملت، فلم يبق منها إلا صبابه كصباية الانا وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به، والباطل لا ينهى عنه..! ليرغب المؤمن في لقاء الله فأني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين الا ذلاً وندماً.

ثم توجه الإمام الحسين عليه السلام الى أصحابه فخطبهم أيضاً وقال:

خط الموت على بني أدم كمخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولعني بالشوق الى اسلافي أشتياق يعقوب الى يوسف وأن لي مصرعاً أنا لاقيه كأني أنظر الى أوصالي تقطعها وحوش الفلوات غبراً وعفرا قد ملأت مني أكراشها رضا الله رضانا أهل البيت، نصير على بلائه ليوفينا أجور الصابرين بن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله لحمته وعترته ولن تفارقه أعضاءه وهي مجموعة له في حظيرة القدس، تقربها عينه، وتنجز له عدته..))

حتى بلغ الأمر لدى الطرفين لحظة الانفجار المحتم تقدم البطل زهير بن القين نحو جيش الضلالة الاموي، ناصحاً ومنذراً، وألقى خطبه فيهم لا يسعنا الحديث فيها: إلا أننا نقتضب

منها، أن ولد فاطمة رضوان الله عليهم أحق بالود والنصر من أبن سميته.. فو الله لا تنال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله ثم تقدم الحر بن يزيد الرياحي خطيباً وكان قد أنسل من معسكر البغي والتحق بالحسين عليه السلام بعد أن حصحص الحق وانكشفت النوايا وتجلت الحقائق لكل ذي عينين فكان مما قاله لأولئك الضالين، نقتضب منها ((وأحطتم به من كل جانب فمنعتموه التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن أهل بيته، وأصبح في أيديكم كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع ضراً وحلأتموه ونساءه وأحبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهودي والمجوسي والنصراني، وتمرَّغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هم قد صرعهم العطش بئس ما خلفتم محمداً في ذريته لا سقاكم الله يوم الظمأ[٥٣] حتى قامت الحرب وبدأ النزال بين الطرفين على قدم وساق وكانت ضروساً عنيفة لا ترحم، ولعل مما يوضح لنا مدى عنف القتال وضراوته ولعل ما يوضح لنا أبن أبي الحديد قال: قيل لرجل شهد يوم الطف مع عمر بن سعد ويحك! أقتلتم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عضضت بالجندل، أنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابه أيديها في مقابض سيوفها كالاسود الضارية تحطم الفرسان يميناً وشمالاً وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية فلو كفننا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها فما كنا فاعلين لا أم لك[٥٤].

وأستمر القتال في رواية الطبري حتى أنتصف النهار وكان أشد قتال خلقه الله، وأخذو لا يقدرون على أن يأتوهم الا من وجه واحد! لاجتماع أبيهم وتقارب بعضهما من بعض فلما رأى عمر بن سعد أرسل رجالاً يقوضونها عن إيمانهم وعن شمائلهم ليحيطوا بهم فأخذ الثلاثة والأربع من أصحاب الحسين عليه السلام يتخللون البيت فيشدون على الرجل وهو يقوض وينتهب، فيقتلونه يرمونه من قريب ويعقرونه فأمر عمر بن سعد عند ذلك فقال أحرقوها بالنار ولا تدخلوا بيتاً ولا تقوضوه فجاؤا بالنار فأخذوا يحرقون ولما أنتصف النار صلى الحسين عليه السلام الظهر ثم صلى بهم صلاة الخوف، ثم أقتلوا بعد الظهر فأشتد قتالهم وأستشهد أصحاب الحسين وأهل بيته واحداً بعد واحدٍ وبقي الحسين عليه السلام بعد شهادة أنصاره وذوي قرباه فريداً وحيداً لا ناصر له ولا معين فشد عليه رجاله ممن عن يمينه وشماله حتى أبذعّروا قميص له من خزٍ وهو معتم ووصفه حضار ذلك اليوم من معسكر أعدائه فقال: والله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى

جناناً ولا أجراً مقدماً منه والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، أن كانت الرجالة لتنكشف من عن يمينه وشماله أنكشاف المعزى إذ شد فيها الذئب ثم جال الباطل إحدى جولاته الطارئة فحصل على انتصار عاجل مزعوم وأسفرت المعركة عن أبي الشهداء طريحاً على الارض مضمخاً بدمائه الزكية وأحتز رأسه سنان بن أنس.

وتقاسم الناس ما كان من أمواله وحواصله وما في جنائه حتى ما على النساء من الثياب الظاهر.

وتحقق بذلك ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أخبر به وهو الصادق الأمين من استشهاد سبطه الحسين عليه السلام ثم احتزت رؤوس الباقين من الأهل والصحب فسرح بأثنين وسبعين رأساً مع شمر بن ذي الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزره بن قيس، فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد في الكوفة، فسلام عليك يا سيدي أبا عبد الله الحسين يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً وكذلك السلام على أولاد الحسين وأخيه أبا الفضل العباس عليه السلام وعلى أصحاب الحسين.. وكانت تلك الملحمة الخالدة الى يومنا هذا ما بقيت الحياة وتتجدد مأساتها في كل عام حتى تيقن العالم بان الإسلام هو في الحسين وكان رمزاً للتضحية والفداء حتى ملك قلوب العالمين، ومن ثم كان جديراً بنا أن نستوحيه على الدوام في الإلهام الذي انبثق وهاجاً قوياً وأمتد بأنوارها أجيالاً وأجيالاً، ولا يزال سطع كذلك حتى ينتظم اللانهايات وينفذ الى ما وراء الأرض والسماوات وهل لنور الله حد يقف عنده أو معلم ينتهي اليه وصدق الله تعالى إذ قال وهو أصدق القائلين:

((فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)).

Abstract

It remains Hussein (peace be upon him) Over the centuries it goes feat only tendon that God will of him that deceives the beacon shines by all liberals of the world to this day Blood Husseini has become since that day

when the fuse revolutions and engine rebels martyred in every time and place on the throne Sufiani Marwani Umayyad.

Said Hussein, who embraced the Mohammedan message attributes of the edges and in the skies glimmered Imamate and brighten his forehead brightly light prophetic gushing Charming ..it is the angel that lies in front of the eye textured flesh was born on the third of Shaaban Mashreq Enlightening gushing splendor and the light at the age of 4 for Migration

Born Hussein (peace be upon him) and took him Prophet (r) of his daughter Zahra Batool (peace be upon him), and told him a serious affair in the history of the Islamic faith, when they stand up and pursued by more than Ibn Muawiyah of immorality and lack of respect Mohammadiyah letter: approach even revolted Hussein the war and cited (peace be upon him) and his family pure and his companions righteous in reality tuff 61 years immigration has in Iraq in the city of Karbala, and gave his blood and the blood of his companions of the lamp, which is about to be quenched Zeta new Pure blood goes back burning to Shine by the light humanity and returning Mohammedan message that the rest of eternity and realized prophecy and what the Apostle said (r) I am from Hussein for each evacuation and clarity.

هوامش البحث

(١) مقاتل الطالبين: ٧٨، الارشاد: ٢٠٣، المعجم الكبير: ١٢٦/٣، الاستحباب: ٣٨٨/١، اسد الغابة: ١٨/٢، ذخائر العطي: ١١٨

(٢) البداية والنهاية: ١٤٩/٨، سيرة أعلام النبلاء: ٣/ ١٨٨، جمع الزوائد: ١٩٤/٩، تاريخ بغداد: ١٤١/١، الاصابع: ٣٣١/١.

(٣) مروج الذهب: ٣٦٢/٣، شرح نهج البلاغة: ١٢٩/٥ - ١٣٠، تاريخ الخلفاء: ١٣٥.

(٤) نصوص الروة في تاريخ الطبري.

(٥) مرتضى آل ياسين.

(٦) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد/ ١٦/ ٢٠٩ - ٢٨٦.

(٧) الطرائف لابن طاووس الحسني ص٢٧٤، كتاب سليم بن قيس ص٢١٥، الاختصاص.

(٨) للشيخ المفيد ص١١، البحار ج٣٨، ص ٢٦١.

(٩) سورة آل عمران: آية ٦٤.
(١٠) سورة البقرة: آية ١٣٢.
(١١) سورة هود: آية ٨٠.
(١٢) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق ص٦٧٣، البحار ج٢ ص١٧٠.
(١٣) مستدرك سفينة البحار: ج١، ص٣٩٦.
(١٤) البحار ج٤٤ ص٣٢٩.
(١٥) مثيرا الاحزان لابن نما الحلي ص ٢٩، البحار ج٤٤ ص٢٦٧، اللهوف في تقلى الطفوف لابن طاووس ص٣٨.
(١٦) إعلام الورى بأعلام الهدى ج١ ص٣٧، تاريخ الطبري ج٤ ص ٣٢٢.
(١٧) تحفة العقول ص٢٤٥.
(١٨) الوافي للفيض الكاشاني ج١ ص٧.
(١٩) مجمع الأمثل ج٢ ص٥٠٩ أضواء.
(٢٠) تاريخ الطبري ٦ ص٢١٩، تاريخ ابن عساكر ج١٣ ص٦٩، مناقب الآل ص٦٧٨، الكامل لابن الاثير ج٣ ص٢٧٦، مروج الذهب ج٣ ص٦، تاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٢٤٢، البحار للمجلسي ج٤٤ ص٣٦٤.
(٢١) العلم اللدني، هو علم رباني تفسير القاسمي ج١١ ص٤٠٩٧ نقلاً عن العربي، الميزان ج١٣ ص٣٤٢.
(٢٢) اسعاف الراغبين على هامش نور الابصار للشبنجلي ص ٧٧، تحف العقول للبحراني ص٤٠.
(٢٣) اللهوف لابن طاووس ص١١، ابن نما ص١٤، الخوارزمي ج١ ص١٨٤.
(٢٤) مجمع البحرين ج٥ ص٣٩٨، أقرب الموارد ج١ ص٥٣٥.
(٢٥) الخوارزمي ج١ ص١٨٨، مناقب بن شهر آشوب ج٢ ص٢٤٠.
(٢٦) البحار للمجلسي ج٤٤ ص ٣٢٨، اسرار الشهادة للدربندي ص٢٤٤.
(٢٧) آمالي الصدوق ج٣٠ ص١٣٥.
(٢٨) الكبريت الاحمر ج٣ ص١٣.
(٢٩) تاريخ الطبري ٥/ ٣٥٢، الإمامة والسياسة ٤/٢، الارشاد ٢٠٩، مقتل الحسين ١٩٤/١، الكامل ٣/ ٢٦٦.
(٣٠) فتوح إبن أعثم ٥/ ٤٨.
(٣١) الطبري ٥/ ٣٥٣، الاخبار الطوال ٢٢٩، البداية والنهاية ٨/ ١٥١، الارشاد ٢٠٩.
(٣٢) سيرة إعلام النبلاء ٢٠١/٣.
(٣٣) تاريخ الطبري ٥/ ٣٥٣، الاخبار الطوال ٢٣٠، الارشاد ٢١٠، مقتل الحسين ١٩٥/١.
(٣٤) الفتوح ٧٧٢٦٨/٥.
(٣٥) العقد الفريد ٤/ ٣٧٨.
(٣٦) البداية والنهاية ٨/ ١٦٨.
(٣٧) تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢١٦، الاخبار الطوال ٢٤٢، الطبري ٥/ ٣٨٠ وفتوح أبن عثم ١٠٨/٥.

(٣٨) الطبري ٥/ ٤٠١، الكامل ٣/ ٣٨٠، المضمون في فتوح ابن الاعثم ٥/ ١٣٥.
(٣٩) الطبري ٥/ ٤٠٣، الكامل ٣/ ٣٨٠.
(٤٠) الطبري ٥/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤.
(٤١) الطبري ٥/ ٤٠٥، البداية والنهاية ٨/ ١٧٤.
(٤٢) الطبري ٥/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨.
(٤٣) كامل الزيارات ٧٥، دلائل الأمامة ٧٧.
(٤٤) أغاليط المؤرخين ١٢٠.
(٤٥) فتوح أبن أعثم ٥/ ١٥٧.
(٤٦) عمدة الطالب بان عنيه الداودي.
(٤٧) الطبري ٥/ ٤٠٦، الكامل ٣/ ٢٨١، والبداية والنهاية ٨/ ١٧٤.
(٤٨) مقتل الحسين ٢/ ٦ ـ ٨ ورث في نهج البلاغة ٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠.
(٤٩) فتوح أبن أعثم ٥/ ١٦٩، الارشاد ٢٤٣، مقتل الحسين ١/ ٢٧٤.
(٥٠) تاريخ الطبري ٥/ ٤١٩، البداية والنهاية ٨/ ١٧٧.
(٥١) الاخبار الطوال ٢٦٠، العقد الفريد ٤/ ٣٨١.
(٥٢) مقتل الحسين ١/٢٥٣.
(٥٣) تاريخ الطبري ٥/ ٤٢٨، الكامل ٣/ ٢٨٩، البداية والنهاية ٨/ ١٨٠ ـ ١٨١.
(٥٤) شرح نهج البلاغة ٣/ ٢٦٣.

قائمة المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم
٢ـ تاريخ الطبري.
٣ـ تاريخ اليعقوبي.
٤ـ تفسير الرازي.
٥ـ تفسير القرطبي.
٦ـ حلية الأولياء/ لابي نعيم.
٧ـ الدر المنثور في طبقات ربات الخدور/ لزينب فواز.
٨ـ دلائل الأمة/ للطبري الإمامي.
٩ـ ذخائر العقبى/ لمحب الدين الطبري.
١٠ـ سمو المعنى في سمو الذات/ للعلائلي.

١١ـ سنن أبن ماجه.
١٢ـ سنن أبي داود.
١٣ـ سنن الترمذي.
١٤ـ سيرة اعلام النبلاء/ للذهبي.
١٥ـ شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد.
١٦ـ صبح الاعشى/ للقلقشندي.
١٧ـ صحيح البخاري.
١٨ـ مقاتل الطالبين/ لأبي الفرج الأصبهاني.
١٩ـ المعجم الكبير/ للطبرسي.
٢٠ـ الكامل/ لابن الأثير.
٢١ـ كامل الزيارات/ لابن قالويه.
٢٢ـ مجمع الزوائد/ لابن حجر.
٢٣ـ الصواعق المحرقة/ أبن حجر العسقلاني.
٢٤ـ الفتوح/ لابن أعثم الكوفي.
٢٥ـ فتوح البلدان/ للبلاذري.
٢٦ـ مقتل الحسين/ للخوارزمي.
٢٧ـ عمدة الطالب/ أحمد بن علي الحسني الملقب بابن عنبة الداوودي.
٢٨ـ نصوص الدرة في تاريخ الطبري/ لمحمد حسن آل ياسين.
٢٩ـ الأئمة الاثنا عشر/ الشيخ محمد حسين آل ياسين.
٣٠ـ أضواء على ثورة الحسين/ آية الله محمد محمد صادق الصدر.
٣١ـ شذرات من فلسفة تاريخ الحسين/ الشيخ اسعد النامدي.
٣٢ـ أنصار الحسين/ آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين.
٣٣ـ أسد الغابة/ لابن الأثير.
٣٤ـ الاخبار الطوال/ أبي حنيفة الدينوري.
٣٥ـ أغاليط المؤرخين/ د. محمد أبو اليسر عابدين.
٣٦ـ البداية والنهاية/ لابن كثير الدمشقي.
٣٧ـ الإرشاد/ للمفيد محمد بن محمد بن النعمان.
٣٨ـ الأئمة الاثنى عشر الإمام الحسين بن علي عليه السلام الشيخ محمد حسن آل ياسين.